هرب الموت من التحقيق واختبأ في أفواهنا. ينفجر في عيوننا الذابلة. يتكسّر الخوف في شراييننا كالزجاج المتراكم على حواف البنايات المهترئة والمدمّرة. مضى أسبوع ونصف على الانفجار. نمشي بحذر بين حقول القلق. عادت الأجساد إلى الأرض وبقيت 7 أرواح عالقة في التراب. احترقت الطيور، وجدت واحداً منهم في بيت في منطقة الجميزة. السلطة لم تقتل رفاقا ورفيقات فحسب، ودمّرت بيوتنا، وانهرت سقوفنا، حرقت مقاهينا ولكنّها سحقت احلامنا أيضاً، بالأحرى حلمنا الوحيد بالعيش.

بقيت نهار الجمعة في بيروت ولكنّني لم أستطع النوم حتى تأكدت أنّي على بعد كاف من الشرفة في حال حصول انفجار ما. يتربض الموت ذئباً على زاوية فراشنا، يعلك ما تبقى في صدورنا. عصّة قبر بعد الموت. الأمر لم يعد يحتاج إلى "عمليّة جراحيّة" كما سمّاها نبيه برّي ولكنّها حرب ولن تنطفئ بوجودنا نحن الاثنين. بإمكاننا تسميتها الجمهورية الثالثة، أو العقد الجديد ولكن المصطلحات قد تضفي مفاهيما للمعنى الذي نطرحه في كلامنا. في كتاب The invisible committee، يقول الكاتب مخاطباً الرفاق أنّنا سننصدم في المرة الأولى أن نهاية هذه الحضارة أو هذا العالم على اشكاله العدة، سياسيا بأنظمته البشعة، وصحياً بأمراضه وجوائحه، لن تكون كنهاية فيلم هوليوود. ولكن يا للأسف لقد شهدنا هذه النهاية المشهدية هنا. ما نطالب به من خلال مظاهرتنا وغضبنا بشكل مباشر، وأساليب حياتنا المتمرّدة هي ليست مطالب سياسيّة فحسب كالحريّة والحق في انتخابات نزيهة. كل هذا هراء وما فرضته الديمقراطيّة البالية. ولكنّها فهم جديد للإنسان كالذي يتحدث عنه Michele De Certeau في كتابه The practice of everyday life.

هنا فجوة بين شكل الأنظمة الحالية وما تقدّمه لنا كخدمات وفي حال فعلت ذلك هي فقط لتبقينا على قيد الحياة وفي أحسن حالتها، تتيح لنا فرصة السؤال عن عطلة نهاية الأسبوع. لأعطيكم مثال على ذلك هو تحرّك الشباب والشابات للمساعدة عقب الانفجار، بشكل عفوي من دون وصاية للجيش أو لأشكال التنظيم المعروفة، وقدرتنا على إزالة الردم واثار الانفجار كانت أكثر فاعلية من وصاية الجيش، البلدية او حتى ال INGOs بأجنداتها النيو ليبراليّة التي تدعم القطاع الخاص كنوع من التوزيع غير العادل للخسائر في العالم وللحفاظ على شكل الأنظمة المهترئة كما هي.

في مناظرة بين فوكو وتشومسكي، يعترض فوكو على أن أسمى ما يريد عيشه الانسان هو الابداع الفني وقراءة الكتب وكتابة الشعر والروايات، كما يدّعي بعض المفكّرين الماركسيّين. قد تكون النياكة وصيد الأسماك والسماع إلى الموسيقى برأي المتواضع. إنّ هذه الفكرة، بحد ذاتها، هي ناتجة عن النظام الطبقي القائم بين الطبقة العاملة والبرجوازية والطبقة المتوسّطة ان وجدت. فالطبقة الغنيّة وقتها هي من كاتب تبدّد وقتها بالرسم وقراءة روايات تولوستوي الطويلة. فلكلّ كما يقول ماركس حقيقة في طبقته الاقتصادية وفرض هذه الأنماط هو ما يفعله هذا النظام الاجتماعي البالي. الجواب الحالي قد يمتلكه Slavoj Žižek في نظرته عن السعادة في مناظرته مع Jordan Peterson ولكنّها ليست واضحة لي بعد.

هناك لغة يتحدثها كل منا اراه في الشارع يمسك حجراً ويرميها في وجه الشرطي ومن يختنق تحت غاز المسيّل للدموع، أو من يغنّي وسط الركام على الميغافون. ولكنّ لا وجود لمصطلحات كافية لطرح هذا الشكل من النظام كطرح سياسي، يشبه ما يتقدّم به David Harvey وHenri Lefebvre فيما يسمى Le Droit à la ville. وهناك أمثلة ناجحة في أميركا الجنوبية لهذا النوع من التعايش كما يطرح ديفيد في كتابه ولكن أرى أن العائق الأساسي في تطبيق هذا هو التفكّك الاجتماعي الذي ما زلنا

نتعرّض له منذ الحرب الأهلية الملبننة أو حتى منذ نشوء لبنان الكبير في 1 أيلول عام 1920، والمقدرّات المادية التي لا نمتلكها بعد ولكنّها بأيدي اوليغارشيون مجرمون متمرسّون في لعبهم السخيفة.

ما نشهده في هذه السنة على أقل تقدير هو تغيّراً في السياسية الخارجية لما يسمى البلدان العربية برابطنا الوحيد وهو الحياة المرّة. تنهار أمام أعيننا الأيديولوجيات: الناصريّة، العروبيّة، البعثيّة، الإسلامية، والاشتراكيّة التي حاولت مراراً بناء وطن عربي من حدود العراق حتى موريتانيا والتصدي للأعداء الخارجيين وإسرائيل تحديدا كحرب بالوساطة.

ان لم نكن على طاولة الحوار بين من يمتلكون السطلة لتنفيذ القرارات وتشريعها والمفاوضة على تسليم السلطة ومفاعيلها فعلينا الإمساك برؤوس هذا النظام وما يترتّب على هذا الأمر من تقديم بديل سياسي لإزاحة الإرث اللعين وإرساء لشرعية لا تهتم بذقن أبي ولكن بما يعني أن يكون الانسان انساناً. قد يحتّم الأمر علينا ان ندخل البرلمان عنوة ونجده فارغاً سوى من الكراسي والأوراق لنكتشف أن السلطة ليست بالأماكن بل بالأشخاص وذويهم ومن حولهم وهذه المرة الثانية التي سنصدم بها. لا جدوى من تفكيك الخطابات فهي مناورة ما قبل السقوط وحركات فموية لغرض السيطرة الصورية على عقولنا التعبة. ولكن رمزية هذا الاحتلال قد تكون ضرورية في حربنا هذه.

ولكن ما معنى أن يكون الانسان انساناً؟ يقول لينين في كتابه الثورة والدولة، أن حاجة الانسان للدولة هي حاجة وظيفيّة للحفاظ على المجتمع وتسيير أموره ومصادر عيشه مما يتحمله هذا من التعامل مع النظام المجتمعي لحمايته وإدارة النزاع الداخلية والخارجية. والدولة بالنسبة له هي أداة ظرفية للانتقال من ميزان القوى وقلبه لصالح البروليتاريا. قد يعني اذن هذا السؤال في جوهره ان يفوّض الانسان تسيير اموره التشاركية ليتفرغ لما يريده. فلا حاجة لكل شخص أن يزرع ويخيط ويستمني في اليد نفسها. وزد على ذلك أننا في الخمسين سنة الماضية لم نعد نتملك مفاعيل الإنتاج، وهنا نرى ضعف الأيديولوجيا مهما كانت لتوصيفها الواقع، أصبحنا فقط صيانين للمكنات. عندما تتوقّف عن الإنتاج، يأتي دورنا لنعيدها للعمل. ونأخذ الراتب من ربّها.

إن وشاح الموت ثقيل وازاحته صعبة، وقد يتأخر هذا الامر سنوات أو أسابيع، العلم عند الله. ولكن بناة العالم الجدد جاهزين لرسم العقد الاجتماعي الجديد.

حربنا لن تنته غدا بوجه كل أنواع السلطات: الشرطة، الشارع، الذكورية، الرأسمالية على شكل ذكر، شرطي، كورونا أو أبّ. هذا وعد يأس وتصميم لبناء هذه العالم كما نريده.